كان يفكر بالثأر لوالده الذي قتل أمامه عندما كان في العاشرة من العمر .. ثمان سنوات وهو يسامر الصور البشعة لحادثة نحتت في الذاكرة .. تعايشه طوال يومه وتزوره أحياناً في المنام .. كان الثأر الهدف الرئيسي من وجوده في هذا الكون. لكن الطريق إليه مليئة بالأسوار والأبواب والحراس .

الفشل في الوصول إلى حلمه جعله يفكر في الثأر من أحد أبناء الجاني لكن شيئاً ما في نفسه كان يمنعه من اقتراف تلك الجريمة .. هو بالتأكيد ليس الخوف فهو يدرك تماماً أن الثأر لا يعرف الخوف .. لكنه شيء آخر يسمونه «الوعي» لجأ عبدالرزاق إلى القضاء، طرح القضية بين يدي القاضي وذهب إلى أعماله .. إنه يعول أسرة مكونه من ثمانية أشخاص .. وبعد المحاكمة تم تنفيذ الحكم. هو الآن يشعر بالطمأنينة ويحمد الله الذي جنبه إرتكاب جريمة جديدة كان يمكن أن تجر وراءها عشرات الجرائم .

كثير من الشباب أصحاب القضايا لهم أحلامهم ويتمنون أن ينزاح عن كواهلهم هذا الحمل .. انهم يؤمنون بخطورته على حياتهم وعلى المجتمع ويتمنون الوصول إلى حل سريع لقضية الثأر بشكل كلي لكنها تظل مسألة معقدة جداً عند أولئك الذين لا يرغبون في سلك الطريق السليم لأخذ حقوقهم وهي في غاية السهولة لدى من آمن بالقوانين والشريعة ومنع نفسه من ارتكاب حماقات جاهلية لا تقود إلا إلى الدمار .

استطلاع / معين محمد النجري

الشباب يصرخون: نريد مجتمعنا خالياً من الثأر

سعير الثأر

● الشباب ملوا من منظر الدماء وأصابهم القرف من مواصلة هذا المسلسل البشع لكنهم مجبرون على مواصلة كتابة تفاصيل رواية قد يجهل الكثير منهم بدايتها.

طارق القيداني قال «نريد أن نعيش كالآخرين»، أصبح مجرد العيش كالآخرين بعيداً عن شبح الثار حلم تتمناه عائلة طارق الذي أكل الثأر الكثير من أموالهم وأعمارهم وأجسادهم ،طارق الذي يبدو أنه مجبر على مصاحبة السلاح اينما ذهب ومجبر أيضاً على الثأر لعائلته حسب قوله لكنه يتمنى أن يجد حلاً آخر يجنبه وأسرته سفك دماء إضافية قال: «يجب أن تكون هناك حملة واسعة تشمل جميع المحافظات وليس المحافظات الشرقية «الجوف ومأرب وشبوة» المحافظات المشهورة بكثرة مثل هذه الحوادث.. طارق ليس من تلك المحافظات لكنه غارقاً في نفس المشكلة ولذلك فهو يرى أن الاهتمام يجب أن يشمل جميع المحافظات.. كنت أشعر وأنا أتحدث إليه في مقيل جمعنا به أحد الزملاء أن عنده استعداد كامل للتخلي عن ملاحقة من يسميهم «الغرماء» وعنده ميل واضح إلى السلم ووضع حل نهائي لقضية أسرته مع الأسرة الأخرى ،ولكنه بحاجة إلى من يدرس القضية بتأن ويلم بتفاصيلها حتى يتمكن من وضع حلول مرضية لكلا الطرفين، أنه لا يشعر بالحقد الشديد ناحية «غرمائه» وهذا شيء إيجابي يجب تنميته. عندما قال: «أعتقد أنهم أيضاً قد ملوا من الهرب والخوف والملاحقة» تلاشي الحقد والرغبة الجامحة في الانتقام في هذه القضية ومثلها الكثير ،والشعور أن الثار من العدو قد يتم بوسائل أخرى .

يجعل الطريق إلى السلم وايجاد حلول إيجابية لمثل هذه القضية سهلة إذا ماتوفر شيء من الصدق والاهتمام. كنت أتمنى أن أجد الطرف الآخر في هذه القضية لأرى كيف ستكون نظرتهم إلى قضية مزمنة أرهقت الجميع لكن لا الوقت ولا المكان ولا الظروف ساعدت على ذلك .

حل وسط

وأنا أعد هذا الموضوع كنت أتمنى أن لا أكتب عن قضية أحد زملاء الدراسة. كان طالباً مجتهداً تنطق من ملامحه الزعامة وحب التفوق، تخرج من الثانوية وألتحق بإحدى كليات جامعة صنعاء وقبل أن ينهي سنته الأخيرة حدثت مشكلة بين عائلتين كانت عائلته طرفاً فيها أدت إلى مقتل والده ،عندها ترك الكتب والملازم والمحاضرات وحمل السلاح والغيره وشيء من الضياع وحمل تلك الكلمة التي كنا نقرأها في الكتب بشيء من التقزز ، ينتقل من مدينة إلى أخرى ومن واد إلى آخر.. حاول قتل من يعتقد أنهُ قتل والده لكن الأجل كان لا يزال بعيداً .

لقد كان يحمل في قرارة نفسه رغبة في الوصول إلى حل وسط وعندما توفرت النية والصدق في حل القضية تمت تلك النية وسرعان ما أتت أكلها وتوصل الطرفان إلى حل وسط مرضي وتجنبوا الدخول في سلسلة ثأرات كان يمكن أن تحصد أبناءهم الذين ما يزالون نطفاً في أصلاب الآباء .. هكذا عندما يحكم العقل ويتدخل الرجال أصحاب النوايا الحسنة .

تحكيم العقل

إن الإنسان بطبيعته يميل إلى السلم ويرغب في الابتعاد عن الحواجز الشائكة التي تعرقل سير حياته الطبيعية غير أن الظروف والأحداث هي التي تجعله يضطر للقيام بأعمال هو يؤمن بأنها مفروضة عليه تحت ضغوط مختلفة .. عبدالفتاح السالمي أحد الشباب المهتمين بالثار ونتائجه مقتنع تماماً بأننا نستطيع التخلص من هذه الظاهرة التي عايشناها مئات السنين في فترة وجيزة، مراهناً على التطور السريع الذي يشهده العالم وكذلك بلادنا .. إنه يتحدث عن رأيه بثقة «السنين القليلة القادمة ستجبر المجتمع على ترك الكثير من الظواهر المجتمعية السلبية» هو يصنف الثأر تحت هذه الظواهر المجتمعية التي ستمحوها السنوات لكنه يرجع ليقول إن هذه السنوات ربما تطول وربما تقصر وذلك حسب تفاعل المجتمع مع هذه القضايا .. إن كل شيء في حالة نمو وهو كذلك.

العقل.. السالمي قال: «ان كثيراً من الأسر بدأت تحكم العقل في قضايا الثار وهذا بلا شك يقودها إلى حلول سلمية ويجنبها الكثير من الخسائر في الأموال والأرواح» العقل الذي يقصده السالمي هو الطريق إلى السلم عبر أبواب مختلفة. قال :«نلبس قضايانا القانون .. والقانون سيعيدها إلى الإسلام ،والإسلام وضع حلاً مرضياً لكل القضايا والجميع مقتنع به» ، إذاً هو يرى أن العقل والقانون والشريعة طريق واحد يؤدي إلى هدف موحد مهما طال الابتعاد عنه فإن الأيام ستجبرنا على سلكه بعد أن نكون قد مللنا من التوهان في طرق مختلفة لا تؤدي إلا إلى الهلاك ، السالمي يحمل الجميع ذنب التوهان والتخبط بحثاً عن ما يرضي الغير «المجتمع الصغير والسلطات والمدرسة تتحمل مسألة التأخير في القضاء النهائي على ظاهرة الثأر لأن التربية الصحيحة في البيت والتعليم الصحيح في المدارس والتصرف السليم من قبل السلطات سيحجم من هذه القضية ويبدأ بتقليص المسافة بين الأسباب لتصل إلى نتيجة وهدف واحد الكل يتمناه لكنهم بحاجة إلى إرادة قوية وتفاعل من قبل شخصيات المجتمع المحيط بهم والسلطات القريبة والأهل ليدفعوهم إلى هذا الطريق ويباركوا خطواتهم».

كم كان متفائلاً وهو يتحدث عن قضية أتعبت المجتمع اليمني مواطنون وحكومات .. إننا بحاجة إلى مثل هذا الفهم الموضوعي لهذه القضايا ودراستها ومناقشتها بشكل علمي حتى نتمكن من وضع الحلول الجذرية وليست الآنية التي ترتبط بقضايا معينة وليست بالقضية ككل .

تكامل الجهود

هناك من يرى أن التكامل بين الجهود القبلية والجهود الحكومية شيئاً لا بد منه خاصة والمجتمع اليمني مجتمع قبلي يمتثل لأوامر وشريعة القبيلة أكثر منه لشيء آخر وبوجود الحكومة وقوانينها وسلطتها القضائية إلى جانب الأعراف القبلية التي بحاجة إلى تقنين في بعض جزئياتها سيساعد بشكل كبير على محاربة ظاهرة الثأر ووضع حلول دائمة وثابتة لمثل هذه القضايا.. عبدالسلام صالح يستبشر خيراً بالإهتمام الأخير من قبل الدولة بقضايا الثأر لكنه يدرك في نفس الوقت أن مثل هذه القضايا لا تحل بين ليلة وضحاها حين قال: «المبادرات الأخيرة أعادت الأمل للكثير من العائلات التي ملت الجري وراء الثأرات، وبدأ الناس يتحدثون عنها بشيء من الاهتمام والجدية .. وأنا أعتقد أنها بداية موفقه» هو أيضاً يفكر في طريقة تتوصل فيها الحكومة إلى وضع آلية يتم فيها مراعاة الأعراف القبلية بغرض الاستفادة منها في وضع حلول دائمة «توجه الحكومة: يجب أن يأخذ في الاعتبار بعض الأعراف القبلية المعول عليها في كثير من المناطق ليتم الاستفادة منها. لأن الأعراف القبلية لها مكانتها واحترامها بين القبائل ومواءمة المبادرات مع هذه الأعراف سيسهل الوصول إلى حلول شاملة لهذه الظاهرة» وكما كان عبدالسلام متفائلاً من المبادرات الأخيرة والاهتمام الذي توليه الحكومة وفي المقدمة رئيس الجمهورية لهذه القضية ،هناك من يخشى أن يكون اهتماماً وقتياً لظاهرة أزلية عمرها مئات السنين .

ظاهرة خطرة

عبدالقوي الربيعي لا يقلل من المبادرات والمؤتمرات لكنه أيضاً لا يؤمل عليها الكثير قال: «قرأنا كثيراً عن الثأر حتى استوعبنا حجم هذه القضية .. فهل تتوقع أن يتم القضاء عليها بمجرد إقامة مؤتمر أو إصدار نشرة أو القيام بحملة وقتية تنتهي بعد شهر أو شهرين .. إن الموضوع أكبر من ذلك بكثير وجميعنا ندرك حجم هذه القضية وخطورتها» الربيعي محق في كلامه فهذه ليست وباء سيتم القضاء عليه بإعطاء المصابين جرعة واقية ،ولكن القضية أكبر من ذلك والشباب أكثر المتضررين ولذلك فهم أكثر شرائح المجتمع اهتماماً بكل مبادرة أو مقترح يخفف من حدتها ويساعد في القضاء عليها، وللربيعي رأي «قضية مثل الثار بحاجة إلى حملة متواصلة طويلة الأمد يتم التخطيط لها بمشاركة كل الجهات سواء كانت حكومية أو أهلية أو قبلية .. يتم دراسة القضية بشكل عام ومن ثم التركيز على الوعي خاصة عند الشباب والصغار» .

لا أتوقع أن هناك من يخالفه الرأي فالوعي بحجم مشكلة معينة هو الخطوة الأولى إلى حلها ..هذا الوعي المنشود لن يأتي هكذا تلقائياً .. إنه بحاجة إلى فريق عمل مكون من كل فرد في هذا المجتمع قادر على عمل شيء يستطيع من خلاله إيصال فكرة معينة إلى مستهدف معين .. كما أن حمله مثل هذه لا بد وأن تكون طويلة الأمد لأنها تعالج مشكلة ذات عمر طويل وليس في مواسم معينة .. إن كل شيء في هذا البلد يجب أن يتحدث عن هذه الظاهرة وعن طرق الحد منها ومن ثم القضاء عليها بشكل إيجابي. لأن المجتمعات هي التي تغير نفسها حين تتعامل معها بشيء من العقل وذلك بالطبع بمساعدة من الجهات المختصة وتنفيذ القوانين على الجميع وفي كل الأحوال .

حمل السلاح

السلاح المتهم الأول في قضية أو ظاهرة الثأر وإذا كان هذا السلاح شراً لا بد منه فيجب تقنين حمله.

منصور السويدي الذي لم يزر أي بلد عربي أو أجنبي تحدث عن الصورة النمطية وهيئة الشخص الذي يحمل السلاح بقوله: «لم يعد حمل السلاح والتمظهر به أمام الآخرين يولد الهيبه.. بل أصبح الشخص الحامل للسلاح منبوذاً وينظر إليه بتقزز لأن حمل السلاح يعني الاستعداد لاستخدامه في أي لحظة وذلك يؤدي إلى خلق مشاكل ومن ثم تولد الثأرات التي تتوالد وتنتشر في جهات مختلفة ،كما أن حمل السلاح يسهل عملية الثأر من الخصم في أي مكان عام» ،منصور السويدي ربط إنتشار الثأر بحمل السلاح كون حمله في كل مكان من الأسباب الرئيسية لانتشار ظاهرة الثأر ودخولها من الأرياف إلى المدن ،وعن طريق الخطأ ،يولد الثأر مشاكل أخرى مع عائلات أخرى فقدت أبناءها عن طريق الخطأ. ويتساءل السويدي «لو لم يكن المجتمع اليمني يمتلك أسلحة بهذه الصورة .. هل كانت هذه الظاهرة ستجد لها مكان بهذا الاتساع ؟.

هو محق بلا شك.. وبقدر ماهو متضايق من حمل السلاح هو أيضاً متفائل بإستيعاب الشباب لهذه الظاهرة وابتعادهم عن حمل السلاح في المدن والقرى «أعتقد أن شباب اليوم أكثر إدراكاً بخطورة حمل السلاح ولذلك فإنك من النادر جداً أن تجد شاباً يحمل سلاحاً» .

هذا ما نأمله فالعصر لم يعد عصر تمترس وأسلحة.. إنه عصر علم ومنافسة وابتكار بهذه الأشياء فقط تقاس الشعوب والأفراد .

شباب كثيرون مؤمنون بهذه القضية ويمتلكون رؤى وأفكار ومستعدون للعمل بجد من أجل تنفيذها والوصول إلى مجتمع خال من الثأر محتكم إلى القضاء .. مبارك القطري قال: «يجب أن يأخذ القضاء مكانه في هذه القضية حتى يتمكن الآخرون من العمل». إن الكثير من الشباب متحمسون للقضاء على الثأر وهم بحاجة إلى مساندة من الجميع حتى يأمن الجميع شرور الثار ويتمكنون من قتل ذلك الشبح المرعب الذي يعيش في كثير من المناطق.

القمة الغائبة الحاضرة

إبراهيم بن عبدالله المعمري *

بعد تأجيل قمة تونس خرجت لأول مرة أصوات تقول أنها من أنجح القمم .. لأنها ولأول مرة أيضاً أختلف العرب وأظهروا للعالم وبصوت قوي أنهم مختلفون .

فما حدث في بعض القمم السابقة أن البيان يعد قبل أسابيع ويكرر نفس المواقف ونفس الكلمات ، بينما تترك القضايا الرئيسية والهامة للقمة القادمة .. والقادمة للتي بعدها .

في قمة تونس التي لم تعقد خرج العرب عن المألوف .. وبدأوا لأول مرة البحث في القضايا الأكثر حساسية .. تخص هذه المرة الداخل لا القضايا الرئيسية التي يتفق عليها العرب .. كما هي القضية الفلسطينية التي كانت محور كل القمم العربية .

هذه المرة كان البحث في المكان الذي يوجع .. قضايا الداخل .. ولأنه تم البحث حدث هذا الانتفاض في الجسد الذي أدى إلى التأجيل .

من قال أنها قمة ناجحة رغم أنها لم تعقد بعد .. يرى الصورة من هذه الزاوية التي كانت على سنوات طوال مغلقة .. ولا يسمح حتى الحديث عنها .

أما اليوم فهي تقفز في صدارة موضوعات القمم العربية .. إنه لا شك تحول جديد .. وسواء تمت مناقشة الموضوعات الداخلية اليوم أو غداً أو حتى بعد سنوات .. فقمة تونس الغائبة حتى اليوم سيسجل لها التاريخ أنها أول القمم التي وضعت الاصبع على الجرح .

* رئيس تحرير صحيفة - عمان

تأملات

محمد العريقي

ثورة ضد الثأر

■.. الثأر واحد من الامور الخطيرة في بلادنا الذي يحتاج الى تغيير واسع في المفاهيم وثقافة الانتقام والعصبية والثأر لو كان شيئا ماديا لأسهل لنا الاجهاز عليه واقتلاعه من جذوره بظرف ساعات.

ولكن الثأر هو نتاج سلوك ومفاهيم وعادات متوارثة بالاضافة الى ذلك هناك الكثير من التصرفات الخاطئة في الدهاليز والقنوات المناط بها معالجة القضايا المرتبطة بالمنازعات بين الناس ،وهو مايجعل الثار يتضخم كورم خبيث في جسد الوطن.

وأفضل وسيلة لاستئصال هذا الورم هي احداث ثورة حقيقية على الامراض والممارسات السلبية وعلى الافكار الخاطئة المعشعشة في عقول ونفوس البعض.

والواقعية والمنطق يجعلنا ان نتفهم الدوافع والاسباب التي تقود لظاهرة الثأر.. وان التغلب على هذه الظاهرة لن يتم بيوم وليلة.. خاصة ومثل هذا الموضوع يستدعي تغييرا في القناعات والاعتقادات.

ومادام قد شكل لمواجهة الثأر لجنة عليا ولجان فرعية.. فان أبرز مهامها سيكون تقليل فعاليات المفاهيم والافكار المشحونة بالعصبية والرغبة الانتقامية ليحل محلها القناعة والاقتناع بثقافة الانصياع للنظام والقانون والرؤية العميقة بأهمية الأمن والاستقرار الاجتماعي.

والخطوة الثانية ستتركز على التوغل في دهاليز القضاء والمحاكم للاطلاع على المشوار الذي تقطعه كل قضية جنائية حتى لايطالها شبح الثأر ويخرجها من طور القضاء الى دائرة الفتنة والاقتتال في شوارع المدن والقرى.

اذا كنا نطالب الأطراف المتهمة بافتعال وتغذية وتنفيذ ظاهرة الثأر ان تباشر في اقتلاع كل مفاهيم العصبية والانتقامية والتحصن بلغة العقل والمنطق والعدل والقضاء والقانون فاننا بالوقت نفسه نأمل من أجهزتنا المعنية ان تكون عند مستوى المسؤولية بتطويق أي قضية والبت فيها بعدل ومساواة ونزاهة واغلاق كل الابواب والمنافذ امام الشيطان الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ويحرضهم للقتل والثأر والموت والدمار.

lariky@maktoob.com